تربية الأبناء .. الوصايا والوسائل

في الجمعة الماضية تحدثنا عن كيان الأسرة المسلمة الذي أولاه الإسلام اهتماما خاصا لعظم دوره في بناء الأمة وتربية الأجيال ، والتربية في حقيقتها صناعة للأجيال التي ترفع راية الدين وتصنع حضارة الدنيا

وكلنا على يقين أن اليد الأولى في صناعة هذا الجيل هي يد الأبوين المكلفين من الله وجوبا بحسن التربية

وينبغي للأب وهو يربي أبنائه أن يستشعر أمرين:

الأول : أنه يؤدي مهمة الأنبياء التي لخصها الله بالتربية والتزكية (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**)

والثاني : أن يعلم أن تربية الأبناء فرض عين لا يسقط عن كهاله وعليه سيسأل ويحاسب

وللأسف .. أننا نتعامل معها باستخفاف واستهانة ، **ومبتدأ هذه الاستهانة** أن أصبح انجاب الأبناء هدفه اكمال الرغبة النفسية ، وهذا أمر فطري لكن هذه الرغبة إذا لم تتبع بحسن التربية والتنشئة يكون الأب قد أنجب قطعة لحم للنار ، ولذلك خاطب الله المؤمنين محذرا (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**)

والأشد خطرا ..

أننا قد نحرم ريح الجنة بسبب إهمال حسن التربية ، **يقول رسول الله** فيما أخرج البخاري (من استُرعي رعية فلم يَحطهم بنصيحة ، لم يجد ريح الجنة)

وتأملوا : التعبير النبوي (فلم يحطهم بنصحه) والإحاطة هي الحماية من كل جانب ، إشارة إلى شمولية التربية التي لا تفرق بين الروح والجسد **(يحطهم بنصحه)**

في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك والعلم والمهارة **ذلك لأن الأبناء**

هم غراس الحياة وقطوف الأمل

هم البشرى (**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ**)

وقال عن إبراهيم (**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**)

وهم قرة العين (**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**)

وهم هبة الله ونعمته (**وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى**)

(**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ**)

وهم زينة الحياة (**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**)

وهم المحبة التي ألقاها الله في القلوب

(**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**)

وهم المودة والرحمة .. كما يقول أهل التفسير أن من معاني (**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**)

أي جعل بينكم الأبناء

فمحبة الأبناء قربة إلى الله وتربيتهم واجب ديني والأب لا يؤجر على حبه لأبنائه بقدر ما يؤجر على اهتمامه بدينهم وعقيدتهم وصلاح مستقبلهم الأخروي

ولذلك .. النبي صلى الله عليه وسلم علمنا أن مرحلة الصغر وخاصة ال 14 سنة الأولى هي أفضل مراحل التربية ، **فقال رسول الله** (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) والله عز وجل يقول (**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**) ،

والصبر لازم من لوازم التربية ، فأنت بحاجة للصبر عند غرس القيم وتعليم الآداب والتدريب على العبادة والتربية على الأخلاق وتصحيح المفاهيم والتحذير من التافهين وأهل الأهواء

الوقفة الثانية : (**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**)

هذه الآية جاءت في موضوع المواريث ، فإذا نزعناها من سياقها أصبحت قانونا من قوانين التربية

لكن السؤال : لماذا هذه الوصية ؟

أولا : لأن الأبناء إما باب سعادة أو حسرة إما (ولد صالح يدعو لك) أو (عاق يدعو عليك)

وهذه السعادة لا تنقطع حتى في الأخرة (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**)

يقول رسول الله (من ابتلي بشيء من هذه البنات

فأدبهن وأحسن تأديبهن ورباهن فاحسن تربيتهم كن له حجابا من النار)

ولذلك النبي قال : (خير كسب الرجل ولده)

وقال كذلك (إن أولادكم من أطيب كسبكم)

وفي المقابل : جاء في الأثر : (أن البنت التي لا يربيها أبوها فتتلفت وتصبح من أصحاب النار ، تقف يوم القيامة أمام الله وتقول : يا رب لا أدخل النار حتى أدخل ابي قبلي لأنه كان سبب شقائي)

ثانيا : لأن إساءة التربية بمثابة القتل المعنوي ، يقول الله (**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ**) أي من فقر ، والقتل لا ينحصر على سفك الدم فقط ، وإنما دفع الولد نحو الدنيا وجمع المال على حساب الدين وفرائضه قتل معنوي له،

ودفع البنت للفتنة بعرض مفاتنها دون حياء والعمل مع النسويات والمنظمات من أجل المال وملذات الدنيا قتل معنوي لها

ثالثا : لأن إهمال التربية يحول الأبناء من نعمة إلى نقمة ، يقول الله جل وعلا (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**)

فالابن يصبح عدوا لأبيه حين يمارس أعمال سيئة تنال من وزرها وتعاني من تبعاتها

رابعا : لأن عدم تربيتهم إثم يحاسب عليه الأب يقول النبي صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول) وفي رواية (من يقوت)

ومعنى يقوت : أي يطعمه ويسقيه ويكسيه لكنه يضيع إيمانه واستقامته

فكم من أب يغضب من ابنه إن نقصت درجاته في المدرسة ولا يغضب منه إن أنقص في صلاته فرضا أو فروض ، ولا يغضب منه إذا انقطع عن حفظه للقرآن أو ابتعد عن مجالس الذكر والصلاح ، وهذا الفعل بمثابة إضاعة الأمانة

الوقفة الثالثة : وسائل التربية :

أولا : التربية بالحب والعطف والرحمة

لأن فساد كثير من الأبناء كان بسبب بحثهم عن عاطفة حرموا منها في البيت ، حرم حضنا

محاط بالرحمة ووجد حضنا محاط بالشهوة
ولذلك يقول رسول الله (من كان له صبي فليتصابى له) أي ليلعب معه كأنه صبي صغير ،
وقال رسول الله (أعينوا أولادكم على البر ، ورحم الله والدا أعان ولده على بره)
فكل أب يحترم وليس كل أب يحب ،
والبطولة أن تجعل أبناءك يحترموك ويحبوك

ثانيا : التربية بالعدل

يقول رسول الله كما عند البخاري (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)
والنبي عليه الصلاة والسلام أبى أن يشهد على هبة الرجل لأحد أبناءه دون الأخرين ،
وقال له : (إني لا أشهد على جور) ،
وقال رسول الله (سوو بين أولادكم في العطية)
وجاء في الأثر : (إن الرجل ليعبد الله ستين عاما ثم يضر في الوصية فتجب له النار)

ثالثا : التربية بغرس القيم :

ومن القيم التي ينبغي أن تغرس خاصة في الصغر
1 . تعظيم الله : أشعرهم بعظمة الله وجلاله وعظيم قدرته ، املأ قلوبهم بحب الله والتوكل عليه والاستعانة به وحده (احفظ الله يحفظك)
2 . الخوف من الله : حدثهم عن عقابه الذي يقابل رحمته ، علمهم أن من خافه نجى ، **احكي لهم قصة الرجل** الذي أوصى بنيه بأن يحرقوه إذا مات كما عند البخاري ، وأن الله لما سأله قال : خوفا من عقابك ، فرحمه وأدخله الجنة
3 . اغرس في قلوبهم حب رسول الله واجمع من كتب السير مواقف تعامل النبي مع الأطفال وتقديره وإكرامه للفتيان
4 . اغرس في قلوبهم حب القرآن : وادفعهم لحفظه وبين لهم مكانة حافظ القرآن عند الله
5 . اغرس في قلبه الغيرة على عرضه (على أمه وأخواته) والغيرة على حرمات الله اذا انتهكت ، واجعله ممن ينكر المنكر إذا رأه
6. اغرس في قلبه معنى الحلال والحرام :
فالنبي يقول للحسن وهو طفل يحبوا لما رأه يأكل من تمر الصدقة (كخ كخ ارم بها ... أما

علمت أنا لا نأكل الصدقة)

7 . اغرس في قلبه حب المسجد والتعلق به ، خذه معك وعلمه أداب التعامل مع المسجد **لذلك ينبغي اليوم** أن نتحمل الأطفال في المساجد وألا نطردهم ، فاذا لم تسمعوا أصوات الأطفال في المساجد فاحذروا من شر الأجيال القادمة

رابعا : التربية بالدعاء

أكثر من الدعاء لهم بصلاح الدين والدنيا ، فكم من أب عجز عن إصلاح ولده فلجأ إلى الله داعيا فأصلحه الله له ولده بعد سنوات من الضلال **مهما كان** .. احذروا من الدعاء عليهم ، **فلقد نهانا رسول الله عن هذا** حين قال فيما أخرج مسلم (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم)

وتعلم من نبي الله زكريا الذي دعا ليحيى قبل أن يبشر به حين قال : (**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**)

خامسا : التربية بالصحبة:

كن له صاحبا وصديقا ، اهتم باهتماماته ، انصت واستمع له إذا تحدث ، خذ واعطي معه إذا ناقش **يقول رسول الله** (لا عب ، **وفي رواية** ، صاحب ولدك سبعا وأدبه سبعا وراقبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه)

ثم اختر له أصحابه واصدقاءه دون أن يشعر لأن التربية لا تقتصر على البيت وإنما تكتمل بحسن اختيار الصاحب والرفيق (**فالمرء على دين خليله**)

سادسا : التربية بالعقوبة :

أخرج الطبراني وحسن الإمام الألباني ما رواه ابن عباس عن رسول الله أنه قال : (علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم)

فبعض الأبناء لا يستقيم أمرهم إلا إذا جمعت له بين الترغيب والترهيب

والعقوبة ليس شرطا أن تكون ضربا باليد ولكن هناك عقوبات حرمان وهجر ومنع من شيء يريده أو رغبة محببة له ، وغيرها الكثير

سابعا : التربية بالقدوة

فاحذر أن يرى منك أعمالا تناقض الأقوال لأن سلوك الأبناء تقليد حرفي لسلوك الأباء ،

الحسن عندهم ما فعلت

والقبيح عندهم ما تركت

يقول د. النابلسي :

(لا تطمح لأن يكون ابنك صالحا وأنت لست بصالح لأن الطفل من خصائصه أنه لا يتعلم بالفكرة وإنما يتعلم بالصورة)

أي لا يفهم القول بمقدار ما يقلد الحركة

فالتربية بالقدوة :

هي تربية صامته لا تحتاج إلى كثير قول وإنما تحتاج إلى كثير سلوك وعمل

ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام

لما رأى المرأة تشير إلى ابنها بشيء في يدها ليأتي سألها ما في يديك ، فلما علم أنها صادقة قال لها : (إن لم يكن بها شيء لكتبت عليك كذبة) لأن هذا الفعل سيجعل الكذب محللا ومبررا عند ولدها بعد ذلك

فكن قدوة لأبنائك

وأحذر أن تسقط من أعينهم بأعمالك

ثم اختر لهم القدوات واجعل النبي صلى الله عليه وسلم قدوتهم الأولى وكفى به قدوة

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

ثامنا : التربية بالوعظ والوصية

من خلال النصح والتوجيه والإرشاد ، والله عز وجل حدثنا في القرآن عن وصية لقمان لابنه وهو يربيه ، فليكن لك بلقمان الحكيم قدوة

أيها الأحبة :

هذه وسائل متنوعه لك الأخذ بها أو الاكتفاء ببعضها ، كل بطريقته ووسيلته ، المهم أن نحقق الهدف بإهداء الأمة رجالا صالحين ونساء صالحات يكونوا شفعاء لنا عند الله ويعلي الله مقامنا بحسن تربيتنا لهم